الراوي

الجزء الاول من السنة الاولى

١ مارس (اذار) سنة ١٨٨٨ * الموافق ١٨ جماد آخر سنة ١٣٠٥

الراوي

نبدأُ باسم المبدي‌ء المعيد ونتيمن بذكر ولي نعمتنا التوفيق المجيد . وبعد فهذه صحيفتنا نوقفها على خدمة الآداب تروي احاديث أُولي العلم وتكشف النقاب عن خبايا الطبيعة وتجلو عرائس افكار اهل الادب ساعية في انارة ما لم يزل في ظلام الاوهام فتكون مشكاة يهتدى بها الى الفضائل ودليلاً يسير بنا الى الكمال وانيساً للمهموم وجليساً للمغموم وتسليةً للولهان وتعزية لمصابي الزمان ففيها من كل فاكهة زوجان

وهي مجلةٌ لطيفة الرسم لا تنقل من الاخبار الاَّ ما يكون نزهة للنواظر وبهجة للخواطر فقد وجدت للعلم والادب لا تحيد عنهما ولا تبحث في سواهما وكفاها بذلك شرفاً سامياً

طبعناها وارسلناها الى نخبة اهل الفضل والادب فامتطت اليهم متن الرجاء وسارت في سبيل الامل وتوسلت بحسن الظن فنحن على يقين من اخذهم بناصرها واقبالهم عليها وتنشيطهم لها ليُشد بهم ازرها فتبلغ بعضدهم شأو الكمال

وسنبذل في خدمتهم جدنا ونسعى في ارضائهم جهدنا فلا ندع بادرة من جميل القول تفوتنا ولا نادرة ظريفة تتعدانا خائضين عباب المسائل العلمية باحثين في المواضيع الادبية

ناقلين الاختراعات الصناعية والمصنوعات العصرية والتواريخ الصادقة والروايات المفيدة والهزل الرائق ما يكون ستاراً للجد تثقف به الاخلاق وتهذب الطباع وتستقيم العوائد . تصدر في الشهر مرتين في مثل هذا القطع والشكل والمعنى لا تتعدى القصد الذي وضعت له فلا تتعرض للسياسة ولا تحرش بالمذاهب . وقد فتحنا فيها باباً للمراسلات ندرج فيه ما يتحفنا به كتابنا النبهاء من شذرات العلم والادب ونفثات البراعة والبلاغة متخيرين منه ما يلائم مشرب الصحيفة ويطابق منهجها . واوسعنا فيها محلاً للنقد والمناقشات بشرط الأ تخرج عن جادة الادب ولا تتعدى حد النزاهة والاحترام . لان غاية ما نروم ومنتهى ما نشتهي خدمة اهل الرقة واللطف ومحبي العلوم والاداب لا نألو في ذلك جهداً وسيكون المستقبل على مانقول باذن الله شاهداً

ولقد أُلجئنا الى اصدارها بغير الرسوم التي عقدنا العزم على تزيين صفحاتها ببهائها لحرمان بلادنا من نقاشي الصور وتعذر الحصول على المرام من البلاد الاجنبية في زمن يسير فارجأنا ذلك القصد الى حين ترد لنا من الخارج اشكال الرسوم التي طلبناها فنبادر اذ ذاك الى تقليد جيد الصحيفة بما يحلو للعين استجلاؤه من صور مشاهير اهل الفضل والادب وربات الجمال والكمال ومعالم الجد والآثار وصور البلدان والصنائع مما يضمن لنا اقبال حضرات القراء الكرام فيقابلون مشروعنا بالاقبال ويوازروننا فنبلغ بفضلهم الامال فهذه بضاعتنا نزفها اليكم يا أُولي الاداب والفضل نتوخى بها رضى القراء الادباء ونفثات اقلام كتابنا الازكياء طالبين عن القصور عفواً وعن الخطاء اغضاء فلسنا في الارض من المبدعين

ثم نختتم الكلام بالدعاء للسدة الخديوية سائلين الله ان يؤهلنا لخدمة التوفيق خدمة خالصة لرضاه ويسهل لنا الوصول الى سواء الطريق في العبودية لمقامه وعلاه وينجح في ظله آمالنا ويصلح بجده حالنا ويديه حليف الهناء باهر السناء تخدمه السعادة والعلاء وتطيعه الايام بالاقبال والرخاء ان شاء الله

الرياح والمطر

تمهيد

قيل لتالس الحكيم ان الحكمة تشقي اصحابها وتلقي بهم الى التعاسة وهم لا يعلمون فاثر فيه ذلك تاثيراً غير حسن فاقسم ان ينتقم للحكمة ليكون انتقامه عبرة يتعظ بها الجاهلون . ففكر وبحث فرأى ان للزيتون في ذلك العام غلة يثري بها العاملون فاكترى قبل الحصاد معاصر البلدة كي لا يسبقه اليها الراغبون . حتى اذا جاء اوان الحصاد اشترى الناس منه الزيت والزيتون . ولكن بثمن برهن لاعداء الحكمة انهم في اودية من الجهل يعمهون فطنة الناس من الملهمين بالمستقبل يعرفون وما كان ظنهم الأ وهما لا يقبله العاقلون فلم يكن لتالس معرفة بالاتي كيف يكون بل كان ذا عقل ثاقب وعامة الناس في دياجير الظلام يتيهون فظنوه نبيًا فوق اطوارهم وما كان الأ واحداً منهم فيا ليتهم كانوا يعقلون . . . . . بل يا ليتهم اتخذوا الامر على وجهه ليعرفوا ان من له المام بعلم الزراعة يعرف سني الخصب وان المستقبل لا يعلم به من اهل الارض احد فما هي الأ شعوذة جاء بها المخرقون وانا لم نجد في الامس ولسنا نرى اليوم ولن نلقى غداً من يكشف عن المستقبل ستاراً او يرفع عن الاتي حجابًا فما هو الأ بعلم الله ان الله بكل شيء عليم . اقول ذلك تمهيداً لما سابسطه لقراء المجلة من القول عن تقلب الطقس وتدرج الرياح والامطار وانقضاض الصواعق اخناقًا لما يدعيه الدجالون

فلقد وجد في كل زمان و بين كل قوم رجال دجالون يدعون علم ما لا يعلمون ففند العلم مدعاهم وردهم على اعقابهم خاسرين فمن هولاء رجل ظهر في فرنسا على عهد الملك لويس الخامس عشر ادعى معرفة ماتصير اليه حالة الطقس في كل يوم ومتى يقع المطر وفي اي ساعه يتغير الهواء وابن تنقض الصاعقة وما اشبه ذلك مما لا طائل تحته من الخرافات التي تستولي على عقول الجهلاء فتملأها اوهامًا وتكثر فيها الاباطيل والخزعبلات فتصدى له بعض اهل العلم المتبحرين فبينوا بطلان دعواه وزعزعوا ركن مدعاه بما فصلوه من حالة الطقس و بيان تدرج الرياح واضعين لذلك مقالة غراء نقتطف منها لقراء المجلة ما تهم معرفته من الحوادث الجوية التي ترسل الحراره والريح والمطر في اقطار الدنيا . وهو بحث دقيق سناتي على المهم منه في الاعداد الاتية معتمدين في ذلك على احدث الاكتشافات واصدق الروايات والله المستعان (البقية تاتي)

الارنب الابيض

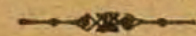
في اليابان

الارنب حيوان بري كثير التوالد يصلح للاكل وجلده مكسو بشعر يستعمل للفرو كجلد سائر الحيوانات الشعرية وهو موصوف بالجبن يضرب بهِ المثل فيهِ فيقال اجبن من ارنب ويأوي الارنب الى البراري القريبة من العمران وكثيرًا ما يؤْخذ حيًا فيألف البيت الذي يربو فيهِ ويصير داجنًا كغيره من الحيوانات الاليفة على انهُ كثير النفور لخوفهِ فتراهُ يقظًا ساهرًا يتنبه لادنى ضجة ويهرب من اقل حركة هذا هو المشهور في شان الارنب المعروف ولقد وقفنا في هذه الاثناء على رسالة لاحد السياح الفرنسويين وصف بها الارنب الابيض في بلاد اليابان فاذا هي حكاية عن تغير لون ذلك الحيوان غريبة تستحق الذكر فان صح قول السائح فيكون المثل الماثور عن تغير لون الحرباء اصح على الارنب الابيض منها ونحن نورد هنا ملخص وصف السائح المذكور قال

ان اذني هذا الحيوان اطول كثيرًا من راسهِ وذنبه قصير جدًا على ان الغريب فيهِ انما هو تغير لون جلده فهو يتنقل فيهِ بين الرمادي والابيض فجلده في الصيف رمادي اللون فاذا جاءت اوائل الشتاء وهلَّ شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ابيضت رجلاه ثم يمتد البياض شيئًا فشيئًا حتى يغشى بطنه فان صاد صياد ارنبًا في اواخر نوفمبر كان لهُ فروٌ بين الابيض والرمادي وعند منتصف دسمبر (كانون الاول) ينقلب جلد الارنب الى بياض ناصع حتى اذا رايتهُ الى جانب قطعة من الثلج المتجمع فلا تفرق بينهما . ويلبث على تلك الحال يتلالأُ بياضًا مدة بضعة اسابيع ثم ياخذ في الانقلاب الى اللون الرمادي مبتدئًا من اذنيه التي هي اخر ما يبيض من جسمهِ ثم يمتد الى ظهره فبطنه حتى يبلغ قوائمه ويصير كل لونه رماديًا لا اثر للبياض فيهِ

على ان الذي اذهلني من امر هذا التغير في اللون انما هو ما تحققتهُ من ان صوف الارنب لا يسقط بل يتحول لونهُ تحولاً طبيعيًا ففي بدء تغيره يرى نصفهُ الاعلى رماديًا والنصف الاسفل ابيض وسكان اليابان ينسبون علة ذلك التلون الى ان الارنب ياكل في الشتاء ثلجًا فيبيض صوفهُ وهو تعليل لا يسلم بهِ العقل ولا ترضاه الطبيعة فان كان للعلماء فيهِ راي فهذا محلهُ ويقطن هذا الحيوان ناحية الشمال الغربي من اليابان فلا يُرى لهُ في غير تلك الجهة اثر

هذه حكاية السائح الفرنسوي عن الارنب المتلون اوردناها بيانًا لعجائب المخلوقات وبدائع صنع الخالق وغرائب الارض وما فيها



الجلود الحمر

فئة من هنود اميركا يمتازون عن الزنوج السود بالوانهم الحمراء ويفوقون عليهم بعاداتهم الشريفة الغراء

وهم يقطنون براري العالم الجديد الشاسعة ويعمرون فيافيهِ الواسعة عاملين على الغزو والانتقام منهمكين بضرب السهم والحسام يعادي بعضهم لفعل الشر بعضًا ويمقتون كل خسيس بغضًا يسيرون على حدود شرائعهم الطبيعية ويحترمون عدالتهم الوحشية يقضون بالحدود على من عقَّ وعصا يضربونهُ بالحسام لا بالعصا

وهم اعداء للبيض الدّاء يقطعون وراءهم البيداء حتى يدركوا منهم اربًا ويقطعوا من وقع في ايديهم منهم اربًا

ووجه كراهيتهم للبيض ان نزلاء اميركا الاوربا ويين امتلكوا من قبلُ اوطانهم وقتلوا بالسيف ابناءهم وطردوهم من اماكنهم واستولوا على معاطنهم وعاملوهم معاملة اللئيم ولم يشفع منهم باولئك المساكين كريم فادرك الجلود الحمر الحكمة القاضية بالاعتداء على من يعتدي بمثل ما اعتدى وقالوا الشر بالشر والبادي اظلم ذلك سبيل الهدى

على ان البيض لفي مأمنٍ من مكائدهم بما اعدّت الان جيوش العمران من سُبل الوقاية وبما اتصلت اليهِ البلاد الاميركية من الحضارة الزاهرة فلم يعد للجلود الحمر جسارة على اقتحام معاقل ذلك التمدن الباهر فالسكك الحديدية التي ملأت القفار والسفن البخارية التي تمخر في البحار تحمل الابيض على اجنحةِ البخار قيامًا من بذلك العثار ويمتنع على الاحمر ان يدرك منهُ الثار

ولكن ويلٌ للابيض الذي يقع بين تلك الايادي الحمراء فهو هالك لا محال الاَّ اذا كان شجاعًا جسورًا يقتحم المخاطر ولا يبالي بالارزاء فيظفر ببعض شجعانهم فترتفع منزلتهُ اذ ذاك عندهم كما حصل للرحالة الشهير المسيو شارل مي العالم الالماني العلامة والصياد الطائر الصيت فقد اقتحم تلك النيافي مرارًا وقطعها ليلاً ونهارًا وانزل من صواعق بندقيتهِ على اولئك الحمر نارًا واولاهم بانتصاراتهِ عارًا وحملهم بظفره بهم شنارًا فوجفت منهُ قلوبهم

واشتهر امره في ربوعهم حتى اوقعهُ سوء حظه بايدي عصابة منهم تغلبوا عليهِ بعد ان قتل منهم خلقًا كثيرًا فقادوهُ الى مركز الزعيم اسيرًا

ورأتهُ ابنة ذلك الزعيم «قلب اللؤلؤ» فهامت بهِ وجدًا وبذلت في انقاذهِ من يد قوم ابيها جهدًا فعفا الزعيم عنهُ اكرامًا لخاطرها على شرط ان يتزوجها ومعها صداق جرابان من سبائك الذهب الابريز فابى شارل واستكبر وقال اف اني لن اتزوج منكم حمراء الجلد مائعة فحزنت المسكينة واستسلمت للبكاء والنحيب فاستفز ذلك غضب ابيها واشفق على زينة الهنود ان يقتلها هوى ذلك الابيض . فقال اما ان يتزوجها والا فهو من الهالكين فقال شارل مقيدًا خسئتم فدونكم اياي فاهلكوني ان كنتم قادرين فصبروا عليهِ وامهلوه لعل الصبر يعطفهُ فينعم بال قلب اللؤلؤ وتسعد بالعريس الابيض فلم يُضع العالم الالماني تلك الهدنة سدى فناجاه حارسه الليلي بضربة من ذراعه المعروف بمطرقة الحديد فانصرع الخفير واستلقى فقطع شارل قيوده وانساب في الحي يجري حتى ادرك جوادهُ فامتطاه وسار في ذلك الليل البهيم يقطع الفلوات ركضًا حتى امن لحاق الهنود بهِ فزادت هذه الواقعة في شهرتهِ حتى اصطحب مع زعيم قبيلة اباش «وينتو» الشهير وتمكن من التسوح في براري الاميركان كلها والف عنها كتبًا عظيمة الفائدة سنقتطف ان شاء الله منها اخبارًا تبسط النفوس وتشرح الصدور ولا ننسى في كل منها ذكره فيكون امامنا مرشدًا في القول ودليلاً

نجيب غرغور

المطر الصناعي

اذا اشتدت حرارة الشمس وضيق الحر على النفس وانقطع النسيم والتهب وجه الاديم وشكت النفس الظماء ونضبت موارد الماء وهُدد المخلوق بالفناء وما رأى الى النجاة سبيلاً يبرّد بها غليلاً فليسمع كيف يجلب الماء القراح فتحيَ بهِ الارواح فمن عجائب ما يرويهِ علماء الطبيعة الذين تسوّحوا في كل البلاد ودرسوا احوال العباد انهُ عند ما تشتد حرارة الصيف في براري فلوريدا السفلى فينضب كل مائها ويصبح الانسان والحيوان فيها عرضة لخطر الموت ظماء فوق ارض مشتعلة تحت فضاء ملتهب لا غيوم فيهِ ولا ضباب يغطيه حيث ينقطع الرجاء من امكان وجود نقطة ماء فيضطر ساكنو شبه تلك الجزيرة الى الالتجاء لوسيلة تمنع الضر عنهم وتنجيهم من الهلكة فيطوفون في براريها الواسعة يجمعون منها ما تصل اليهِ ايديهم

من حشائش يابسة واحطاب ناشفة واعجاز اشجار خاوية يثيرون عليها شرارًا ويضرمون منها نارًا يتصاعد في الفضاء لهيبها ويشتد في الحال سعيرها وكلما ارتفع اللهيب الى العلاء ملاء الدخان كل الفضاء وتلبدت في السماء غيوم كثيرة حتى اذا سكنت سورة تلك النار تغطي وجه السماء بالضباب واحتجب الافق بالسواد فتمطر السماء ماء تيارًا قويًا ينصب الظهور بعظيم حجم نقطها التي تفوق قطرات المطر العادي كثيرًا وبعد ان يلبث بعض دقائق يملاء الناس في خلالها جرارهم ينقطع كما جاء فجأة بعد ان ترعد في الفضاء اصوات رعد هائلة ينتهي النوء في ختامها تمامًا

نجيب غرغور

الامانة

علمت احدى كاتبات الشرق الفاضلات بقرب ظهور الراوي فبعثت الينا بهذه الرسالة رجاء نشرها فادرجنا بعضها وارجأنا تتمتها الى العدد الاتي . قالت الكاتبة ايدها الله :

اليكنَّ ايتها السيدات اسوق الكلام ومن اجلكنَّ يا بنات جنسي اعملت ظبى الاقلام فخططت عن الامانة والاخلاص سطرًا ضمنته ادبًا ونصحًا فارجو له قبولاً وعن زالهِ اغضاء وعفوًا

الامانة ويا ما احيلاها كلمة تفيض من القلب فينطق بها اللسان تنشرح صدورًا وتسر خواطرَ وتقر عيونًا وما تسيء الا ضمائر القوم المفسدين . .

الامانة وما اطيل الكلام في شأنها كنز كان في الزمان الغابر يفضل على كنوز الذهب فلله ذلك الزمان وتلك الايام كيف مرت فلم تبقِ الا اثرًا وذكرى وعبرت كالسحاب فكانت عبرة لاهل البصيرة وذوي الالباب

تلك اعصر كانت للامانة اهلاً وللاخلاص مثلاً حيث المحب ثابت العهد والصاحب مقيم على الوعد وحيث الشيخ مكرم الجانب والمرء ساعٍ الى تمام الغرض وتكملة الواجب

تلك ادوار الامانة و زمان الاخلاص حيث التذكار لا يمحى والعهد لا ينقض والوعد لا يخالف والخادم يشرف بالامانة لسيده والصاحب بالولاء لصديقهِ والعبد بالصدق لمولاه والوطني بالاخلاص لوطنهِ والرجل بالثبات في حب امرأتهِ والمرأة بالخضوع لقرينها والمؤمن بالتشبث في دينهِ

تلك ايام مضت وانقضت فلم يبقَ الا ذكرها يحلو للعقول ويطيب للالباب على ان احلى الذكرى

امرها فكلما فكرت بتلك الاعصر الخالية اعصر الامانة والولاء والصدق والوفاء حيث الراحة والنعيم والمسرة والهناء تسيل من عيني عبرة لا امسكها ضنابها ان تراها اعين الخائنين فيشمتون

هذه كلمتي عن امانة الامس ازفها بين زفرات وتنهيد ودمعة بين الجفن والقلب وحزازة في الصدر وحاجة في النفس انقدم بها الى ذرات الخدور كي يقابلن بينها وبين ليلى . . .

(البقية تاتي)

خطرات افكار

قرأ نا في بعض جرائد العلم ان للنظام ثلاث منافع فهو يحفظ الوقت ويعد الاشياء للذاكرة ويصونها من العدم والضياع

***

ثلاثة مهلكات العجب والبخل والهوى

***

نظر المرء في امور نفسهِ اولى له من النظر في احوال غيرهِ

***

المذنب المحبوب يتبرَّ عاجلاً

***

الحرية والحب صنماي المعبودان فللحب اضحي حياتي وللحرية اضحي الحب

***

تموت النحلة بانتفاعها اما المرأة فتحيى بهِ

***

قال الفيلسوف لايختار لقيادة مركب من كان من بين الركاب حسن الملبس والزينة

***

اذا شئت ان تمدحك الناس فاسكت عن مدح نفسك

***

رأيت عند احدى السيدات الحسان كتاب صور خطت يد الحكمة على احدى صفحاتهِ ان التجربة والاختبار يعلمان المرء الحذر ليس من الناس فقط بل من نفسهِ ايضاً

***

تفارقنا الرذيلة فنظن اغترار اً بانفسنا انا فارقناها ولله در القائل

قالوا فلان قد غدا تائباً
واليوم قد صلَّى مع الناسِ
فرحت عن توبتهِ سائلاً
وجدتها توبة افلاسِ

*

تاريخ مصر

من منذ العصور الخاوية حتى يومنا هذا

مصر القديمة — دولة الاسلام — الحملة الفرنساوية

عائلة محمد علي — الثورة العسكرية سنة ١٨٨٢ — المدة الاخيرة

مقدمة

التاريخ مرآة الماضي تُصقل بها صور الحوادث الغابرة وترتسم عليها اشباح المتقدمين يرى المتأخر فيها هياكل اجداده ومعالم مجدهم وحوادث ايامهم واسباب عمرانهم ودواعي خرابهم ووسائل ترقيهم ومسببات انحطاطهم فيكون على بينة من الامر الراحل يتقي جالب الضرر ويتبع داعي المنافع ويحرص حرص العاقل منهم ويبعد عما اضرّ باهل الطيش فلا تصيبهُ من النوائب نائبة تحذر منها ولا تدانيهِ مصيبة كانت في حسبانهِ الّا ما يقع مجهولاً غير منتظر والله عليمٌ بذات الصدور

وفوائد علم التاريخ فوائد عظيمة وافرة يقصر عن وصفها مثل هذا البيان الوجيز فكفى بها نفعًا ان لا يكون المرءُ جاهلاً لحوادث ماضيهِ غير عالم بما كانت الاجداد عليهِ من شرفٍ اثيل ومجدٍ نبيل وغنىً وافر وعلمٍ زاهر وفضلٍ باهر ومعالمٍ للعلا رفعوها ومنازل للفخر شيدوها ليسعى في النشاط مسعاهم ويزيد بنور المعارف العصرية عليهِ فيعمَّ النفع باحتياجات عصرٍ تنوعت اسباب المنافع فيهِ

وعلمُ التاريخ على الاطلاق فرضٌ واجب على ذوي الالباب يرتضع ذو اللب لبانه في المدارس صغيراً ثم يدرسه ويعيدهُ في الاعمال كبيراً ولا يقصرُ على تاريخ البلاد علمهُ بل يبسط جناح مطالعتهِ على تواريخ الامم قاطبة وفي التاريخ من العبر ما يجري العبرة عند قوم عارفين

والتاريخ اشرف العلوم واغزرها مادة واوسعها سبيلاً واعمها فائدة واسماها نفعًا وبالاخص

تاريخ بلاد المرء فلا يعد من الصواب ان يعلم الانسان ما جرى في بلاد غريبة وهو لا يعلم من اخبار بلاده شيئًا بفتح الفم اندهاشًا وبحملق العين استغرابًا كلما سمع الاجنبي يقص عليهِ من اخبار ماضي ايام بلاده ما كان هو لهُ جاهلاً وهذا داء سرى في اكثر الناس فيجهلون اخبار امسهم الغابر ولا يعلمون احوال يومهم الحاضر كأن وسائل العلم بها عظمت على مداركهم او ان اسرارها في مدينة النحاس لا ينالها الاَّ المنورون ... وأليس من الخسارة ان لا يعرف التاريخ الاَّ عدد قليل حفظ من اساطير الاولين ما يجعلنا ان نأسف على فلسفة المتأخرين

ولبلادنا في التاريخ مقام شامخ ولرجالنا في اعمال الكمال فضل باذخ فما في غيرها من الارضين جرى ما جرى فيها من الحوادث ولا انقضَّ على غيرها من جنود المصاب ما اصابها و بنيها من الكوارث

وتضاربت اقوال الكتبة في تاريخها واختلفت اراء المؤرخين عليهِ واختلط الكذب باليقين فندر ان يحلف عالم التاريخ عنهُ يمينًا ولا يمين

واول من اهتدى في تحرير تاريخ مصر القديم الى سبيل في الصواب قويم هو هرودتس المؤرخ المشهور الذي جاء وادي النيل قبل الميلاد بمئين من السنين ودرس فيها عن روية احوال البلاد والاهلين واستقرأ اخبار المتقدمين وكتب فيها تاريخهُ مسنودًا الى الخبر اليقين

واصح رواية المتأخرين عن حوادث مصر وردت في تاريخ العالم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي قلد جيد التاريخ بقلائد عقيانهِ و زينهُ ببدائع بيانهِ

وهو على ما بهِ من ضروب البلاغة وآيات الاعجاز في الاسهاب غير وافٍ بالغرض المقصود لاقتصاره على مدة معينة لا تفيد طالب التاريخ عن مجمل الحوادث من منذ نشأة مصر حتى اليوم ما يستفيده من التاريخ جامعًا لاشتات حوادث الماضي طافحًا بالفوائد عن المتقدمين والمتأخرين وهو القصد الذي عقدت العزم عليهِ في تاليف هذا التاريخ فجمعتُ فيهِ اخبار مصر منذ نشأتها مسنودة الى افاضل علماء هذا الفن من عجم وعرب اخص بالذكر منهم هيرودتس ودي روجه وماريت باشا والموسيو ماسبرو وابن الاثير والجبرتي والموسيو دي فوجاني وهو اخر مؤلف وقفت عليهِ في اللغة الفرنسوية ذهب مؤلفهُ الفاضل مذهب الدقة والاعتدال وسلك سبيل الصحة والاختصار و بوبهُ تبويبًا لطيفًا استحق عليهِ طيب الثناء وفائق الاعتبار

وقد نحوت في وضع هذا الكتاب نحاه وحذوت في الترتيب حذوهُ مراجعًا كل ما كتبهُ على من ذكرت من مهرة المؤرخين حاذفًا ما رايت فيهِ ريبة في صدق الرواية زائدًا ما لم ارَ لهُ فيهِ اثرًا من الاخبار السابقة مضيفًا ما طراءَ بعدهُ من الحوادث اللاحقة فجاء تحفة اقدمها خدمة وطنية ارجو لها من أُولي الفضل قبولاً فأنال بفضل الله مأمولاً

تمهيد

من رأي اغلب العلماء ان وجود بعض البلاد الشرقية كالهند والصين مثلاً معروف من منذ ثمانية عشر او عشرين الف سنة بل اكثر من ذلك ايضًا ولا غرو في ان تكون هذه المدة حقيقية اذ ليس ما يدل على استحالتها وان تكن غير سالمة من مظنة الريب والغلو لان اعتماد قائليها كان على كتب روحية تذهب في حكايتها الى القصة الدينية اكثر من الرواية التاريخية

ولا يبتدئ الاصل الحقيقي لكل بلاد الا في العصر الذي يؤسس فيهِ بتلك البلاد حكومة منظمة او تسن على الاقل شرائع تقضي بين درجات الهيأة الاجتماعية على تباين اجناسها . ووجود الريب في صحة الكتابات المتداولة عن عدة بلاد اسيوية يجعلنا ان لا نجعل لها في تاريخ الدهور مقامًا سابقًا للبلاد المصرية . اذ ان لمصر مثل تلك البلاد آلافًا من السنين مسنودة الى القصص الدينية ايضًا . غير ان المدة الحقيقية التي يبتدئ فيها تاريخها تبلغ سبعين جيلاً وهي المدة التي كتب فرعون الاول اسمهُ فيها على الواح حجرية لم تزل حتى الان باقية . ومثل هاته الدلائل القوية لا يوجد في غير مصر من البلاد . فتاريخ التمدن المصري الذي هو اول حركات الامم الاخرى اللاحقة لهُ يبتدئ اذًا من هذا التاريخ البعيد . ولكن من اين اتت هذه العوالم التي حطت اولاً على ضفاف النيل رحالها . أمن اوربا وهي كانت في عالم العدم ام من افريقية التي كانت مجهولة . لا لعمري فانها ما كانت آتية الاّ من اسيا مهد الاعمار الاولى التي كانت وحدها معمورة بجراثيم جميع القبائل التي انتشرت على وجه البسيطة قاطبة . فمن هنالك رحلت بعض العشائر في تاريخ مجهول تستسير على مهل متخذة مجرى الشمس دليلاً تقطع القفار وراءه حتى وقفت على ضفاف النيل فقام في وجهها سدًا مانعًا فاستوطنت فيهِ وجعلتهُ غاية سفرها . فاصل سكان مصر الحقيقيين اذن كان اولئك الاسيويين الذين اسسوا مصر كما اسس سيكروبس المصري اثينا عاصمة بلاد الروم

واشهر المدن التي جعلها الانسانُ محطات للطريق الطويلة التي قطعها في سبيل وصوله الى ما نسميهِ الان مركزاً التمدن الجديد هي ممفيس وثيبس واثينا والاسكندرية ورومية

ولقد ظهرت ممفيس في أُفق التاريخ قبل عصرنا بخمسة الاف سنة فتبددت معها غياهب الجهالة ولاح فجر العلم فملاء مدارك الانسان نوراً وارسل اشعة بهائهِ على هاته المدينة فاستنارت وابنت الى الاعقاب الاتية فنوناً كانت هي من قبل مهدها

فلقد خرج الانسان الاول فيها من الخمول الذي كان غارقاً لحد ذلك العصر في يهِ واستفاقت مداركه على مهل حتى بداءَ عقلهُ المخترع يولّد المعدات الاولى التي بذلها في سبيل تخليد آثار مداركه السامية الى الخلف . وقد حفظ تلك الاعمال العظيمة في مدافن واضرحة متوارية عن العيون فحُفظت حتى اكتشفناها وهي موضوع تعجب وتامل الناس طرّاً . فمن رأى شواهد هذا الفن القديم الصماء التي لم تقوَ على دكها سطوة الزمان يحسبها كأنها ترينا باجلى بيان انتصارات الانسان الاولى على المادة

وكان المصريون في ذلك العصر يعدون من ظهرت مداركه من رجال العلم في فنٍ من الفنون او في اية الصنائع رجلاً سامياً ويكافئ الفراعنة ذلك الاجتهاد بغمر اولئك الرجال الاذكياء بالغنى الوافر وبعلائم الشرف الخصوصية موقدين بذلك في افئدتهم نار الغيرة والاريحية التي كانت تقوي عزائمهم وتجعلهم يزاحمون بعضهم في الفراسة والذكاء لايجاد تلك الاثار الخالدة التي قطعت اجيالاً عديدة ولم تزل باقية في عهدنا تكتسب بدقة صنعها الذي لا يبارى استحسان الناس اجمعين

على ان ممفيس مدينة الملوك قد اندرست ودفعت منذ زمانٍ طويل ما فرضه عليها الزمان الغادر الى المقدر الجائر مقدّر الكائنات الارضية الذي يفني الممالك العظيمة الزاهرة وينسف الاثار العظيمة الباهرة فلم يبقَ من المدينة التي وسمتها النقوش الهيروغليفية « بمدينة المعاقل » سوى سهول خاوية وكل ما كان فيها من مروج وتماثيل كانت في الامس سبب مجدها عفت وامحّت اثارها كأنها لم تغن بالامس ولم تكن شيئاً مذكوراً

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

نعم ان ممفيس قد اندثرت الّا ان ذكرها باقٍ لا يزول فكأنها وجدت في نفس الموت حياتها وان معالم مجدها قد اندرست الا ان اضرحتها ما زالت باقية يقص ما عليها من النقوش تاريخها علينا . واهرامها المبنية بزهو ملوكها وعجبهم قد قاومت سلطنة الدهور التي عجزت اثقالها عن قلب تلك الاكام الشامخة الثابتة حتى يومنا هذا كما كانت في العهد القديم

تبدي عظمتها المهيبة للناظرين وتظهر كأنها انما هي باقية لتسهر في وسط هذه الوحدة التي كانت من قبل مزدحمة باقدام اصحاب الصنائع والفنون واصبحت الان ينعب الغراب في اطلالها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامرُ

ومرَّ على ممفيس من عهد تاسيسها الزاهر الفاسنة اشرق فيها على الشعب نورها حتى آل امرها بعد ذلك الى الانحطاط . فما عاد يشيد ملوكها المعالم الهائلة وسُلب الملك من العائلات الممفيسية القديمة فتنزلت عاصمة مصر الاولى عن مقامها الى مدينة جديدة هي ثيبس « الظافرة » التى ارتفعت في الحال معالمها وتشيدت اركانها وتسمت ولاية ثبايد باسمها وغدت الوطن الحقيقي

وكانت ثيبس تزهو بانحطاط ممفيس ثم استوت على اعراش الوجهين القبلي والبحري « مصر العليا والسفلى » عائلات جديدة من الفراعنة . فلم يمض على مترو بول الجديدة الا زمن يسير حتى اضحت « ملكة العالم » كما يسميها الاقدمون ويعدها كل شعوب تلك الايام التي كانت تقر لمصر بانها مركز التمدن وترتجف امام قواتها الهائلة

وما لبث الفراعنة ان تحركت فيهم روح المطامع الى الغزوات فجردوا من عساكرهم جيوشاً مؤلفة من فرق عديدة من المشاة تتبعها عجلات القتال يرأسها اولاد الملوك فسار عن ضفاف النيل عدد من رجال الحرب عظيم فغزا البلاد الجنوبية والشرقية والشمالية ملقياً في كل القلوب رهبة وخوفاً زارعاً في الجهات التى داسها جزعاً ورعباً تقر الشعوب من وجه اولئك الابطال كلما تقدموا خطوة وكان النصر في كل المواقع رفيقهم فوثقوا بنجاح رجالهم وبصلاح اسلحتهم وداوموا السير ظافرين حتى ضفاف الفرات . فجعلوا ذلك الحد لمصر حداً جديداً وكانت ارباح غزواتهم اموالاً وافرة اغتنموا معظمها من بابل ونينوى . واما الجزية التى فرضوها على الامم المغلوبة فكانت مؤلفة من كنوز باهرة يستحيل احصاؤها فأثرت ثيبس وعظمت سطوتها وتزينت بالاثار التي تفاخر حتى الان بعظمتها وبهائها . وما كانت هاته الكنوز غنيمة مصر الوحيدة في فتوحاتها بل اقتبست عن امم اسيا المتمدنة علوماً كانت من قبل تجهلها . فان حب المصريين الغريزي للصنائع جعلهم يبتهجون من رؤية عجائب تلك المصنوعات التي اظهرتها ايدي الشعوب الذين اخضعوا — فتلطنوا في استخدام الامتيازات التي خولهم الانتصار اياها لينتلعوا من صدر الامم المجاورة اسراراً اعانتهم على رفع شان العلوم والصنائع المعروفة حينئذٍ الى مقام عظيم (البقية تاتي) نجيب غرغور

الشهامة والحب

او

ريموند وفيليس

المقدمة

هذه قصة للكاتبة الفاضلة الكونتة داش الفرنسوية تعرف بعنوان «سيدة قلعة دي بن» (Mademoiselle de la Tour du Pin) وضعتها في قالب الحب على اسلوب الشهامة وسبيل الوفاء وانموذج الكرم ومثال الولاء وضمنتها من وقائع التاريخ التي جرت على رجال الرواية ما ضمن لها عند قومها قبولاً وعليها اقبالاً فاخترت تعريبها خدمة لقراء المجلة يتفكهون بمطالعة ما فيها من سير الحب واخبار الهوى وما حوتهُ من وقائع الشهامة وحوادث المروءة بين غمز اللحاظ وضرب السيوف فيلهون بها عن غرائب العلم وعجائب الصناعة ومتاعب السياسة ومشاكل التجارة ساعة يريحون فيها ابدانهم ويعدون عقولهم الى ما هو اسمى منها واعلى

الفصل الاول

المعلم والتلميذ

في مساء يوم من شهر اكتوبر (تشرين الاول) من سنة ١٦٨٩ في مسكن صغير بالقرب من وادي مونتمور كان شيخ متقدم في السن مهيب الطلعة رهيب النظرة جالساً الى جانب مستوقد في غرفة كبيرة كل ما فيها من الاثاث والفرش يدل على تصلب في الذوق وشدة جد في العوائد والاخلاق وكان قد اقبل الليل يسدل على البرية ستار

الظلام وسكتت الطبيعة فكأن لا عوالم ولا مخلوقات وهناك فتى غض الشباب رطيب العود كان واقفًا عند النافذة يطمح بنظرهِ الى ما وراء ذلك الواد حيث نورٌ ضعيف في اعالي قصر منيف مشيد على تل بازائهِ فكان ينظر اليهِ بامعان بصر ولكن بفكر مشرد وعقل طائر وذهول عظيم الى حد انهُ لم يسمع نداء اسمهِ المكرر مرتين الى جانبهِ اما المنادي فهو شيخنا الذي رايناه بالقرب من الموقد فلما راى انذهال الشاب وتشتت افكاره ناداهُ ثالثة قائلاً

— ريموند قلت لك ان قد آن الاوان لاشعال المصباح

فالتفت اليهِ الشاب كمن افاق من رقاد واجاب

— ماذا تريد يا سيدي

— والى ما تنظر هكذا ياولدي ولي ربع ساعة اناديك لاذكرك ان وقت الصلاة قد حان على انك يا ريموند تتناسى الملك واباك الثاني معًا

— استغفر الله يا سيدي على ان بهذا الواد بهاء يلذ لي حتى ان عيني لا تمل من النظر اليهِ . وهو والحق جميل بديع . . . .

— اجل يظهر انهُ بديع جميل حتى في الوقت الذي لا يرى فيهِ فان الظلام مرخٍ على البرية ستورًا تحجب الاشياء عن الابصار . فلا تكن يا ريموند مخاتلاً فليس في هذا الوادي تتيه افكارك بل الى ما وراءهُ تطمح ابصارك وقلبك ملوءُه تذكارات فيليس فهي التي تجث عليها فوق ذلك الجبل آسفًا لانفصالك عنها كئيبًا لالتزامك بان تعيش بعيدًا منها . فآهٍ لك كيف تتوق الى مخلوقةٍ دنيئة لئيمة اهملت اخوتها وجحدت دينها

فقاطعهُ ريموند مجيبًا بحدة فقال

— اذكر يا سيدي ان سيدة قلعة دي بن مهما كان اعتقادها ودينها اهل لكل احترام واعتبار وانا ارجو منك ان تذكر ذلك ولا تنساه فاردف الشيخ بصوت كئيب

— نعم . هوذا انتم معشر الاشراف النبلاء لا تزالون على ما جبلتم عليهِ من الشمخة والكبر وان دمكم ليسكت التعاليم المقدسة ويهزأ بقواعد الدين ويتعدى الاستقامة والصلاح وانكم لا تقدرون على سماع الحقيقة عن نسائكم ومن كان من صنفكم ومنزلتكم فتسارعون الى تذكير الوقح بالمسافة التي بينكم وبينهُ . . . فآه ثم آه .

— رحماك يا ابي انك غير منصف فيما حكمت به عليَّ فلم يخالج ضميري ابدًا فكر كهذا ولم يداخل فؤادي اثر لما تتوهمهُ

— لا لا فباطلاً ارشدت صباك باطلاً قدت خطاك ولقد ذهب سدى ما بذلتهُ من الهمة في تثقيف اخلاقك وتقويم اميالك . نقشت على صفحات قلبك كلمات الانجيل الشريف وقواعد الدين المكين فلم تنجع فيك بل حفظت الرجل القديم بتشبثاتهِ واهوائهِ بغرامهِ وخيلائهِ بكبريائهِ وقلة ايمانه . . . آه وا اسفاه لو كان ابوك الشهم النبيل حيًّا فماذا يا ترى كان يقول عنك ايها الولد الفاسد

— كان يقول انني غير اهل بهِ ولا مستحق لان اكون ابنًا لهُ اذا لم اعضد رفيقة صباي وعشيرة صغري ضد تحاملك عليها بل كان يقول ان فتاة من نسل بطل البروتستنت العظيم يجب ان تجد رحمة وشفقة في قلب وزير السلام ورجل الرب وعلى الخصوص لما كان يرميني بالعقوق ويتهمني بنكران الجميل وجحد الاحسان والبر بل كان يقراه على صفحات قلبي كلمة الاخلاص لمؤدبي والحب اللائق بي لا بي الثاني

— لا يا ريموند لست ارميك بالعقوق ولا اتهمك بنكران الجميل بل اندب سطوة اصحابك القدماء على عقلك الملتهب بدم الصباء فمن يدري ومن ذا يعلم عند اي حدٍ يقف مثلهم واذا كنت حبّابهم لا تقتفي اثارهم وتعمل عمل عائلة دي لا شارس فتجحد دينك القويم دين ابيك وامك دين موءدبيك ومعلميك دينًا رضعتهُ مع اللبن في طفوليتك وربيت عليهِ منذ الصغر لتعتنق الكثلكة ام الخرافات والاباطيل

فلم يجب الشاب على هذا الكلام بل جثى امام الكاهن الشيخ على ركبتيه واخرج من صدره ذخيرة معلقة في عنقهِ بشعرٍ مجدول فامسكها بيدهِ وقال

— انت تدري ولا يدري سواك اي مقام عظيم لهذه الذخيرة عندي واي ذكر رهيب لها في فؤادي فاقسم بها الاّ انقاد ابدًا لعوامل الحب ولا اخضع لمخاوف التهديد وان احتمل مرّ العذاب والالام التي لا تطاق احرى بي من ان اهمل الدين القويم المقدس الذي ربيت عليهِ وادنس اسم اجدادي الكرام باعتناق مذهب غير الذي ماتوا عليهِ وبهِ ولاجله . افراضٍ انت يا ابي . اولا تدعني الان اهجس بطمأنينة وسلام

— لا يا ولدي لا . فانك بذلك تذوق عذابًا لا يقوى عليهِ فوءادك الضعيف اذ تعود بالذكر الى ذلك الماضي الجميل حيث كنت تشيد للمستقبل قصور الامال الباهرة ومباني الاماني الزاهرة . افتراني بربري القلب كي ارضي لك بهذا العذاب ام تظن انني لا اقاسمك التعاسة والشقاء في هذه الخسارة العامة والمصيبة الفادحة . . . آه ان نصب عيني رسوم ذلك القصر المشيد الذي تطمح ببصرك اليهِ وازاء نظري تلك القاعات والغرف التي كأنها

من مقاصير الجنان ومساكن الحور حيث الخدم كالولدان تروح وتجيء للخدمة وتهيئة اسباب البسط والهناء وسيدة القصر في وسط الجميع تصدر الاوامر كمليكة معظمة بين جنودها الظافرين . واني لاذكر يا ولدي تلك السهرات الهنيئة والليالي السعيدة حيث كان الكونت سيد القصر واولاده منتصبين بالقرب من الموقد وانت الى جانبي تعيّن بيدك فصلاً من الكتاب المقدس ليتلى في سواد تلك الليلة ومن خلفك فتاتا حسن وجمال بل ملكا بهاء وكمال تتبعان با لنظر الفصل الذي عليهِ بنانك لتعلما قبل الاوان موضوع قراءة السهرة فتتمعنان بها وتتاملان . اجل انني ازال ارى نصب عيني رسم هاتيك الديار ومثال تينك الفتاتين اللتين كنت احبهما واعزهما كما احبك واعزّك . . . آه ان مثالهما امام ناظري وذكرهما في فؤادي وخاطري فالواحدة سمراء اللون كثيرة الاحتشام كاملة الخلق بديعة الخلق والاخرى شقراء باسمة الثغر طلقة المحيا تحسب البشاشة فرضًا والترحب با لناس دينًا . على ان الاثنتين انموذج الطهر والعقل ومثل العفة والنبل ما خلقتا الاّ لان تكونا فخرًا لآلهما وزينةً لبيت ابيهما . اما الان فقد تبدلت الامور وتغيرت الاحوال واصبح قصر مونتمور مأوى الكفر والضلال فاضحى ذكر من كنا نعجب بهم خجلاً علينا وعارًا . فابكِ يا ولدي ابكِ خسارة الامال وضياع الاماني نعم ابكها فلست الومك ولا اعذلك ولكن فليكن حزنك عليها اقل من حزنك على ضياع انفسهم وخسارة الخلاص بجحدهم مذهبهم القويم وخروجهم عن صراط الدين المستقيم فانكم ان تلتقوا حتى ولا في العالم الثاني

وعاد الشاب الى مكانهِ بجانب النافذة مشتغلاً بافكاره مصغيًا الى هواجس فؤاده غير معير شأنًا لكلام الشيخ وما زال السكوت مستوليًا على الغرفة حتى دقت الساعة السابعة فنهض الشيخ من مكانهِ بوقار وسكون وقال للشاب بصوته الرزين

— نادِ الخادم ليحضر النور وهات كتاب الصلاة معدن العلوم الالهية فلنا بعدُ ساعة نغذي فيها لبنا قبل ان نغذي جسدنا

فاطاع ريموند وسار نحو الباب وانظار المؤدب تقتفيه حتى خرج فتنهد الشيخ وضمَّ يديه ورفع ببصره الى السماء وقال

« ربِّ ايها العالم ما في القلوب يا فاحص الكلى والنفوس هب عبدك الشاب قوة وداوِ نفسهُ الجريحة وارها باتساع صبرك ليقوى على السير في طريقك المستقيم . انني لا ارغب لنفسي شيئًا فخذ كل ما تعدهُ لي من الراحة والهناء ليكون منّة لهُ من لدنك يتعزى بها عما يفقدهُ من نعم هذه الدنيا وسعادتها »

وما اتم مربي ريموند كلمات دعائهِ حتى دخل الخادم بالمصباح فانار تلك الغرفة الحزينة ووضعهُ على الطاولة وادنى منها كرسيين وحرك النار وخرج من حيث دخل دون ان ينوه بكلمة. ثم فتح ريموند الكتاب واخذ يقرأ. فكان صوتهُ واضحًا عاليًا ترن كلماتهُ في اعماق القلوب ونظرهُ خافضًا الى الارض وعلى جبينه تتلألأ امارات الانشغاف وتلمع فوق اساريره سمات الانعطاف الى معنى كلمات يتلوها فيه فتبهر عقلهُ وتخلب لبه ويظهر على محياه بهاء غريب وعلامة جمال لا تراه العين وهو مع ذلك حقيقي لا خلاف فيهِ. وههنا يقف القارىء سائلاً أمعنى تعصب لدين الاصلاح وثبات قصد في مقاومة الاضطهاد ام غرام تعيس وحب لا رجاء فيهِ وضعوا فوق محياه ختماً لا يمحى ولا يضمحل. ذلك ما لم يكن لاحدٍ ان يجيب عنهُ وكان لباسهُ اسود يزيد منظره هيبة ووقارًا وشعورهُ مرخية على اكتافهِ تتماوج فوق ظهره هازئة بالازياء ساخرة بمن يخترعها او يتبعها فكان في ذلك مخالفًا شبان عصره من النبلاء على ان عدم اتباعه للازياء لم يكن لينقص من قدره او يحط في منزلتهِ فقد كان في هيئتهِ وعلى محياه دليل على الشرف الباذخ والنسب الشريف وانهُ وريث لعائلة عريقة في المجد اصيلة في النبل فلم يكن من حاجة لتسميتهِ كي يعتبر ويكرم فمرآه فقط كان كافيًا لان يجذب اليهِ الابصار ويقود نحوه الاكرام والاعتبار اذ يعلن بهيئتهِ عن شرف اجداده ونبل آلهِ

وكان نوجان مؤدب ريموند معجبًا بهِ محبًا لهُ غيورًا عليهِ مكرسًا ايام حياتهِ لقيادة صبائهِ وتمهيد سبل شبابهِ فكان ينظر اليهِ نظرة الوالد ويحنو عليهِ حنو الام على الفطيم بيد انهُ كان لهذا الرجل على صلاحه علة وحيدة فقد كان ميالاً للاحزاب يكره الكثلكة والكاثوليكيين كرهًا شديدًا الى حدانهُ لم يكن يألو جهدًا في اثارة حمية اخوتهِ البروتستنت واصلاء نار الثورة على الكثلكة والقائمين بها فكان يخطب في قومهِ عاملاً بفصاحة لسانهِ وقوة جنانه وبلاغة منطقهِ وبيانه بحث الناس دون شفقة على السعي بقدم العصيان الى الحرب الاهلية ودمار البلاد. تلك كانت علة نوجان داء في فؤاده ولده اضطهاد الكاثوليك في ذلك الزمن لمذهب الاصلاح فلما كان ذلك المساء وقد ختم ريموند قراءة السفر الالهي اخذ نوجان في خطبة طويلة بشان المضطهدين فهاج غضب تلميذه واثار حقده فطلب فؤاده الانتقام وثارت عواطف نفسه ترتاد في دم اضدادها ارواء لحنقها ثم تفارقا للنوم فعاد الشيخ الى سكونهِ الطبيعي فقال للشاب

— لا تاتِ يا ريموند عملاً قبل ان تصلي للرب الملك فاستشره واصغَ اليهِ في سكون الليل واذا ما امرك الله بالرحمة والعفو فلا تعرض بحياتك عساه ان يعدك لتجارب

اعظم واقوى

وما انفرد الفتى في غرفته حتى ثارت عاصفة غضبه ترعد وتزبد غير انها لم تبطىء ان تحولت الى حزن في النفس والم في الفؤاد اثرا في قلبه الى حد انه مد يده الى سيف معلق فوق سريره فاستله من غمده وهزه بيد ارجفها الغيظ وثبتها العزم والحزم وتمشى في غرفته ينظر الى حسامه بعين دامعة يزيدها الدمع رونقًا وبهاء ثم مسح عبرته وكفكف دمعته ولاحت على محياه سمات اليأس وعلامة القنوط فازبد وارعد وهز اليماني هزة لمع فيها وابرق وهجم به هجوم الحامل على جيش عدو وقال :

« السلام يا سيف جدي وابي انت يا من ارتوى من قلوب المضطهدين الاشرار فكم من مرة سالت على فرندك دماء الظلام وكم من مرة قاومت المعتدين فارتدوا على اعقابهم خاسرين . اخرج يا حسام بيرنجه من غمدك فهذا اوانك ان الاعداء استطالوا عليّ فسلبوني كل شيء . . . اخذوا مني خطيبة نفسي ومحظية فؤادي فتاة افتديها بعيني وروحي وكل ما في الدنيا فدى شعرة من رأسها فسأريهم بك يا ايها المهند انني ابن ابي وخليفة سلف لا يترك ثارًا او يضيع حقًا ولا يخاف وعيدًا ولا يرهب تهديدًا واعلمهم كيف يرهبون اسمي ويحترمون نسلي فيعلم المكابرون اي منقلب ينقلبون »

ودام على تلك الحال برهة يتمشى ساعة ويتوقف اخرى ويتوعد تارة ويتهدد طورًا ثم القى بنفسه على سريره فصارت الهواجس تقيمه والاكدار تقعده حتى غلب عليه النعاس فنام نومًا تقلقهُ الاحلام وتكدرهُ الوساوس . وكان نوجان مؤدبهُ في كل ذلك ناظرًا اليه من خلال الباب يتوجع لحزنه ويتألم لبكائه وهو لا يجسر ان يدخل عليه كي لا يزيد في قلق نفسه حتى تيقن انهُ قد نام فارتد الى غرفته يسأل الله عونًا لتلميذه وعضدًا لمن هو بمثابة ولده بل اعز عليه من روحه . ولما اشرق كوكب الصباح فانار الاكوان بضيائه وافاق نوجان من الرقاد وسأل عن ريموند فقيل لهُ انهُ عند بزوغ الفجر امتطى جواده وسار دون ان يفوه بكلمة

(البقية تاتي)

اخبار

خساير فادحة

وُلِع احد وزراء الروس بلعب القمار فخسر فيهِ مليون روبل وخسر البرنس ابسيلاني سفير اليونان في فينا سابقًا سبعة ملايين فلورينى كانت ورثتها زوجته عن ابيها البارون سينا النمسوي وما عُلم سر هاته الخسارة الاَّ بعد وفاة السفير واشهار افلاسهِ فوا اسفاه على ضحايا القمار فحذار ايها الشبان حذار ن...

***

حسنة للزمان

ما عرفت الموسيو باسي صاحب حانة يأوي اليها معاقرو بنت الدنان وهمل الزمان ولا مررتَ بها وهي مجتمع اهل البطالة ومستودع الشاربين وماسمعت عن اصل صاحبها المستور شيئًا فلا تستسلم الى الاستغراب اذا علمت اليوم عنهُ انهُ النائب في البرلمان وان اقواله عقود الجمان ولا يختلف على صحتها من اهل باريس اثنان

والسرُّ في سؤدد هذا العصامي انهُ كان مغرمًا بتلاوة الصحف على تنوع اجناسها يجتني منها الفوائد ويجمع الفرائد ويقص على زائريه اخبارها حتى غدت حانته نادي حارتهِ الادبي يتسابق الاميون اليهِ التماس الاستفادة يسمعون تلاوة الاخبار ويستكشفونه ما تحوي من الاسرار ويتحفونهُ جزاء ذلك اجورًا وثناء وافرًا وشكورًا .

ولكثرة ما تداخل في امور الصحف الشهيرة اعتمده اصحابها عنها وكيلاً وعينوه لها مكاتبًا فطارت شهرته الادبية وعلت معارفه السياسية وما جاء ميقات الانتخاب لاعضاء البرلمان الفرنسوي حتى انتخبهُ مئتا الفٍ من اهلها نائبًا عنهم وفيهم من لم يحظَ بشرف معرفتهِ وانما صيتهُ العاطر ملاء البلاد الفيحاء ارجًا

فهذا الموسيو باسي لزم الاجتهاد فنال المراد وكان مثلاً للاقدام يُقتدى بهِ وجسورًا مسخ من قاموسهِ لفظ اليأْس والمستحيل فليتباه بمثل فضلهِ المتفاخرون

نجيب

***

عمر الرجل والمرأة

تحقق بعد المراقبة ان المرأة تعمر أكثر من الرجل والدليل على ذلك ما ورد في احدى مجلات العلم في باريس عن احصاء وفيات الجنسين لسنة من السنين المتأخرة

فتبين منهُ ان وفيات الرجال بعد السبعين لم تتجاوز ٨٠٠٢ انفس على حين ان وفيات النساء بلغت ٢٢٩٩ ولقد مات في ذلك بعد التسعين من الرجال ٣٨ ومن النساء ٧٦٠ ولم يبلغ احد من الرجال سن المئة في ذلك العام ومات فيهِ من النساء واحدة تجاوزت المئة .

***

غرائب الازياء

اذا شئت ان تنظر الى غرائب الازياء فاسمع اقص عليك ما سمعتهُ امس في مجلس ادب ضمني وبعض الشبان المتسوحين الذين جابوا المدن والبحار وقطعوا الفيافي والقفار حبًا باستطلاع عوائد الشعوب ومعاينة ما نسمع بهِ من غرائب الامصار الشاسعة . قال تجهد المرأَة عندنا بتبييض اسنانها وتسويد حواجبها على ان نساء اليابان قد خالفنها في ذلك فان المرأَة هناك تسود اسنانها وتحلق حواجبها فلا تبقي فيها للشعر من اثر وهي تفعل ذلك تباعًا للزي (الموده) السائر في البلاد ولكنهُ زي غريب لا اظنهُ يعود الاَّ بعكس ما يُرجى منهُ فتامل

تماثيل العلماء والمخترعين

عُرفت فرنسا بمكافاة علمائها وتخليد ذكرهم بعد الموت ليكون عبرة يعتبر بها العاقلون ولقد وقفنا في هذه الاثناء على صورة تمثالٍ للعلامة الكيماوي نيقولا ليبلان احتفل بنصبهِ في دار الفنون والصنائع بباريس بحضور جم غفير من العلماء الاعلام . وهو تمثال بسيط حفرتهُ يد النقاش الماهر المسيو هيول الذي مات قبل ان تنظر عيناه شمس الثامن والعشرين من شهر يونيو (حزيران) من عام ١٨٨٧ المنصرم . وهو اليوم الذي دارت فيهِ العلماء حول اثر الكيماوي يؤبنونه ويأْسفون عليهِ ويسأَلونه عن الفنون فيجيبهم صامتًا ويفهمون صمته خاشعين . وسنلم في الجزء الاتي بشيءٍ من ترجمة حال هذا العالم بيانًا لفضلهِ ورغبة في خدمة العلم ورجالهِ

الانتحار

لقد تولى اليأْس في بلاد الفرنسيس على كثير من اهل المزاج الضعيف والعقل الخفيف فانتحروا وهم المشنؤُون فرحمة الله عليهم انهم كانوا خاسرين

واسباب الانتحار كثيرة ولكنَّ معظمها حب اتى على القلب فاعمى البصيرة وتلك عقبى العاشقين ن . . .

ساره برنار

هي فتاة آل اسرائيل الراقصة الطائرة السمعة بهجة التياتر الفرنسوي وزينة الممثلات اغواها شيطان الغيرة على مناوئة رصيفة من زميلاتها في المهنة فاختصمتا وتضاربتا في مرسحٍ غاص بالمتفرجين فعادت الى بيتها حزينة تحاول على ذل الانكسار صبرًا وتسأَل لكسرِ كبريائها جبرًا ن . . .

لطايف

لطف الجواب

زار احد الفلاحين مدينة ظبي فدخلها متجولاً في شوارعها متخطراً في اجارعها حتى انتهى الى دكان صراف «بنكيير» فلم يرَ فيها سوى مقاعد للجلوس وموائد للكتابة فدخلها وسال صاحبها عما يبيع فيها فضحك الصراف لسوءالهِ واراد التهكم فقال «ابيع رؤوس حمير . . .» فقال الفلاح ـ «لا غرو في ان السوق على بضاعتك رائجة اذ لم يبق عندك سوى راس واحد . . .»

سلوى

كان احد اعاظم امراء فرنسا اقبح من الجاحظ مشهوراً بين الناس بانهُ اشنع الناس فضاق من ذلك صدرهُ رغماً عن عظيم مكانتهِ في الدولة ونافذ كلمتهِ عند ولي نعمتهِ وفيما هو في احد الايام سائر راى رجلاً ينوح ويبكي على باب الملك لحاجة يود قضاها فجاءهُ الدوق مستنبئاً عن حالهِ متودداً ثم اخذه عند الملك وقال لهُ

— اسال من فضل مولاي قضاء حاجة هذا الرجل فانَّ لهُ عليَّ فضلاً عظيماً وهي اعظم منةٍ التمسها من نعم مولاي الملك

فلم يتردد الملك في قضاء ما سئل وسال الامير عن الفضل المديون الفلاح بهِ فقال

— كنت يا سيدي معروفاً باقبح مخلوق ورايت هذا الرجل اقبح مني فخفف ذلك بعض الهمِ عني

اعلان غريب

قرأْنا في جرائد اميركا الادبية اعلاناً عجيباً لطيفاً قال كاتبه

فتاة وجهها يجلو

دجى الاحسانِ والحسنِ

لها قدٌ بهِ ميس

كثير الميل كالغصنِ

نجلاء العين سوداء الحاجب حادة النظر بيضاء الاسنان اللؤلوءية رقيقة الشفة الياقوتية صغيرة الاذن جميلة الانف وردية الخد رشيقة القد كثيرة الدلال لطيفة الحديث ظريفة العشرة مهذبة اللفظ حافظة عارفة واسعة الخبرة

تروم لها زوجاً عدلاً

يستأهل منها الاحسانَ

ولا فرق في ان يكون شاباً غض الشباب مليحاً او كهلاً شائب الشعر قبيحاً فالقصد منهُ ان يكون ذا مال ينيلها ما تشتهي فمن رامها فعنوانها :

مس كلاري . . . .

نمرة ١٩ باست برادواي

نيو يورك باميركا

نجيب

عذر اقبح من ذنب

ضرب رجل من الرعاع رفيقاً له فشج راسه فلما أمسك وسيق الى الضابطة قال له رئيس الشحنة (البوليس) اظن ايها المتهم انك قبل ارتكاب الجريمة كنت قد تركت عقلك في اسفل الكاس

فاجاب الرجل بلهفة وهو يتمايل سكراً: عفواً يا سيدي انني افرغ الكاس بتدقيق الى اخر نقطة فيها

***

المكرسكوب للرجل

داس شاب رجل سيدة فصاحت به: على رسلك يا صاح لقد دهست لي رجلي. فانحنى الشاب امامها مبتسماً وقال بلطف معتذراً: عفوك يا سيدتي ولكن لا بد مع صغر رجلك من مكرسكوب كبير

***

عاشق الشعر

كنت في دكان طباخ (لوكندة) أأكل وامامي رجل حسن الملبس جميل الصورة مشرد الفكر غائص في بحار التامل فعجبت له وقلت في نفسي ان له شاناً وما اظنه الا مغرماً فتثاقلت في تناول الطعام لارى ما يبدو منه فرايته يخرج من جيبه خصلة شعر اشقر جميل فينظر اليها نظر المغرم الواله ثم يعود الى اكله باسما لافكاره فرحاً بما يبدو له من تصوراته وبينما هو على تلك الحال وانا الاحظه اذ مر صاحب الدكان من امامه فرفع راسه متنبهاً له كمن افاق من رقاد واستوقفه وقال له مستفهما

— احقيق ان ابنتك تصلح الطعام

— نعم يا سيدي

— اذن انا اخطبها اليك وارجو منك الا تردني خائباً

فاجاب الرجل وقد اخذ منه الانذهال مأخذاً عظيما

— أالى هذا الحد انت محب لبطنك

فاخرج الشاب من جيبه خصلة الشعر واجاب بصوت هازئ

— يا الجمال هذا الشعر لقد جننت به ولا عجب فانه اهل لان تتيه بحسن لونه العقول ولي شهر كامل التقط كل يوم من الصحن شعرة حتى جمعت هذه الخصلة الصغيرة

فخجل الرجل من ذلك خجلاً عظيما وظن انه يتخزبه وراح يوصي ابنته بالاحتراس على شعرها

***

الانف المسروق

حكي ان شاباً مات له عم فاظهر الغم والحزن وبكى عليه بدمع سخين ثم ود ان يودعه الوداع الاخير فدخل الغرفة التي كان الميت فيها فاكب عليه يقبله ويغسل وجهه بدمع عينه المنهمل. وما زال كذلك بين نحيب وعويل حتى اشفق الناس من الغم ان يؤثر

فيهِ فدخلوا غرفة الفقيد واخرجوا الشاب وهو يصعد الزفرات ويسكب العبرات ويعدد اوصاف عمه الراحل ويذكره بالرحمة والاسف

قيل ولما خلت الغرفة نظر حارس الميت الى وجههِ فاذا بانفهِ قد توارى . . . وكان ذلك الانف مصطنعاً من ذهب

الملاعب

اي محب الفنون الراغب في الحضارة السالك سبيل المدنية الباحث في التاريخ اذا شئت ان ترى اعمال المتقدمين وتنظر في شؤون الاعصر الخالية فتعال بي الى الروايات نرى في تمثيلها مثال الايام الغابرة فان في الثغر ملاعب . . . استغفر الله فما في الثغر الاَّ ملعب واحد اتجهت اليهِ الابصار وازدحمت على ابوابه اقدام المتفرجين فمتى استفزتك النفس الى اختلاس فرصة لهو وانس فبادر الى شمالي الاسكندرية بجانب البحر حيث تتكسر الامواج فوق الرمال فيقع خريرها في الاذان غناء يفوق في طلاوته غناء تشدو به السنة الناس . . . اعوذ بالله من زلة القلم لقد جرى بما لا احب نعم بالقول وساوى بين الاصوات حسنها وقبيحها فنفضل خرير الموج عليها . على ان من الاصوات ما يسحر الالباب ومن غناء بعض الناس ما يخلب عقول السامعين ذلك على قيد خطواتٍ من الشاطي في ملعب الفردوس «تياترو البراديزو» ففيهِ من المغنين والمغنيات ولدان وحور باصوات تذري بالبلبل المصداح وانغام تسبح خالق الليل والصباح

ويرافق ذلك من نغرات الموسيقى وغرائب التمثيل وتلاعب الاشارات وحسن الالقاء

بدائعُ يذهبن الهموم فتنجلي

عن القلب كربات له وغمومُ

كل ذلك بين مجالي البهاء وتجلي ربات الجمال والسناء

من كل فتانة حسناء ترفل في

ثوب الدمقس على قد من البان

على ان هذا الجمال وذلك الكمال لا يشملان كل ممثلي الملعب فان بينهم من لا يستحق هذا الوصف وليس له من الممثل والمغني الا اسمها ولكنَّ جوق البراديزو في جملته حسن على علاتهِ وكفى بهِ انه كفانا شرا الضجر في ليالي الشتاء الطويلة على حين ان الملاعب الكبيرة مقفلة الابواب

***

اعتذار

جاء هذا الجزء قليل المواد بما تقاضاه من المقدمات والتمهيد والبيان مما لا مندوحة عنهُ فلا يتخذهُ القراء دليلاً على الاجزاء الآتية فانها ستكون باذن الله مستكملة لكل ما فيهِ رضى السادة الادباء